حاضر العالم الإسلامي

محاضرة رقم (3)

العوامل الداخلية لضعف العالم الإسلامى :

التحول من ماضي الأمة الإسلامية المجيد إلى حاضرها

- **واجه الإسلام منذ ظهوره في مكة إلى أن قامت دولته في المدينة الكثير من التحديات ، تحدي وثنية قريش ، وتحدي أهل الكتاب والنصارى داخل شبه الجزيرة العربية .**
- **كذلك تعرضت دولة المدينة إلى محن داخلية إذ تمكن عبد الله بن سبأ اليهودي من بذر التناقضات بين المسلمين .**
- **اشتد التحدي بين الإسلام وبين من تظاهر بالإسلام من أهل الكتاب ومن الفرس والمجوس واستمرت الأحداث زمن الأسرة الأموية ، العوامل الداخلية أهم من العوامل الخارجية التي أثرت على نقل العالم الإسلامي من ماضيه المجيد إلى حاضره الأليم .**

العوامل الداخلية

- **العوامل الداخلية التي أدت إلى ضعف العالم الإسلامى تتمثل فى :**

1-انشقاق المسلمين إلى فرق :

فقد نجحت القوي الحاقدة على الإسلام المتسللة في صفوف المسلمين وفي شق المسلمين وصدعهم . فظهرت فرق الخوارج وفرق الشيعة وقد ناهضت كل منهما أهل السنة والجماعة ، فعمل ذلك على تبديد طاقة المسلمين المادية والعسكرية والفكرية بتوجيهها إلى صراعات دامية . ظهرت فرق أخرى كالمرجئة والجهنية والمعتزلة وغيرها مما أقلقت بال المسلمين عليهم ، فكان من الطبيعي أن يواجه الإسلام هذه التحديات التي تمثلت في الوثنية واليهودية والنصرانية والمجوسية وأن تتعرض أمة الإسلام إلى الكثير من التحديات الداخلية والخارجية.

2-اشتغال المسلمين بالفلسفة وعلم الكلام :

اشتغل بعض المسلمين في العصر العباسي الأول (132-232هـ) بترجمة العلوم اليونانية والهندية إلى اللغة العربية ثم انحرف هذا الاتجاه إلى ترجمة الفلسفة الإلهية الإغريقية فدخلت الحياة الفكرية في العالم الإسلامي . كان ابن المقفع وحنين بن اسحق وثابت بن قرة واضرابهم من الذين حملوا لواء هذا العمل . الذي كان غايتهم نقل مذاهبهم وأفكارهم وأديانهم إلى الفكر الإسلامي .

-- كان هؤلاء النقلة من السريان في أغلبهم والجزء الأقل كان من اليهود فنقلوا ما نقلوه وفق أهواءهم الخاصة وأكثرهم لم تكن غايته البحث عن الحقيقة بل كان همهم الدعوة إلى شيعتهم وتزيين أهوائهم الدينية وإدخال ما ليس في الإسلام فيه ، لذلك كانوا يغيرون ويبدلون النصوص التي بين أيديهم خدمة لأغراضهم .

- **ظهر علم الكلام متسلحاً بالمنطق الذي كان الوسيلة لتنمية القدرات العقلية للفيلسوف حتي يتأهل للتلقي عن العقل الفعال .**
- **ذم الفقهاء الكلام وأهله قال أبو يوسف تلميذ الإمام أبي حنيفة وصاحبه:" من طلب الدين بالكلام تزندق ومن طلب المال بالكيمياء أفلس ومن طلب غريب الحديث كذب "**
- **قال الإمام الشافعي : " حكمي في أهل الكلام أن يطاف بهم في القبائل والعشائر ويضربوا بالجريد والنعال "**
- **قال : الإمام " كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد عليه الصلاة والسلام لجدل هؤلاء "**
- **قال ابن الحصار :" إنما ظهر التلفظ بها زمن المأمون بعد المائتين لما ترجمت كتب الأوائل وظهر فيها اختلافهم في قدم العالم وحدوثه .**
- **في القرن الرابع الهجري اتخذت الفلسفة طابع التحدي لعقيدة الإسلام علي يد ابن سينا (370-428هـ) الذي يعتبر من أخطر فلاسفة المسلمين ، وقد نعته الذهبي بأنه : " رأس الفلاسفة الإسلاميين الذين مشوا خلف العقول وخالفوا الرسول " وتاب في آخر أيامه .**
- **روي عن ابن سينا تلميذه ابن أبي أصيبعه " أنه كان يجتمع كل ليله في داره طلبة العلم وكنت أقرأ من الشفاء وكان غيري يقرأ من القانون .**
- **استجاب والد ابن سينا للإسماعيلية الفاطمية ، من أشهر نظريات ابن سينا نظرية المعرفة التي وضع فيها الفلاسفة على قدم المساواة مع الأنبياء . لو كان هنالك الوعى الكامل لاقتصرت الترجمة على ترجمة العلوم البحتة كالهندسة والطب والفلك وغيرها من العلوم النافعة بشرط أن تكون صياغة ترجمتها متفقة مع عقيدة الإسلام .**

3-الانقسام السياسي لدولة الإسلام :

- فقد أفلحت النعرات السياسية في تصعيد بعض التناقضات وتعميق روح الخلافات فأدت إلى الصدع بين الزعامات المسلمة ، وجاء وقت القرن الرابع الهجري –كان في العالم الإسلامي ثلاثة خلفاء الخليفة العباسي الشرعي في بغداد والخليفة الفاطمي في مصر والخليفة الأموي في الأندلس ، مما أدى إلى اهتزاز ثقة المسلمين بالخليفة ثم هانت عليهم الخلافة .

- أدي ذلك إلى إضعاف العلم الإسلامي في مواجهة أعدائه فتوقف المد الإسلامي ثم أخذ بالانحسار ليعود إلى المد من جديد في عهد الدولة العثمانية حاملاً معه بذور الضعف . استطاعت كل هذه الانقسامات والفتن والمشاعل والنعرات القبلية كلها عملت على زرع بذور الفتنة الشقاق والانقسام الذي أضعف العالم الإسلامي .

4-الشعوبية :

- اكتسبت الشعوبية مفهوماً خاصاً فأطلقت على محتقري العرب والذين يصغرون شأنهم ، فهي والحالة هذه تعني التعصب ضد العرب وقد بدأها الذين تسللوا إلى الإسلام وهم يحقدون عليه من اليهود والنصارى والمجوس وقد رد بعض العرب بالتعصب للعرب فخالف المتعصب ضد العرب والمتعصب للعرب .

- استغلت الحركة الشعوبية الأدب واللغة والشعر العربي والتأليف والمفاخرة والمفاضلة بين العجم والعرب فكانت الشعوبية نزيفاً وضعفاً في الأمة الإسلامية في وقت تزايدت فيه أخطار التحديات الخارجية على المسلمين وعلى العالم الإسلامي مثل التحدي الصليبي والمغولي تلك التحديات التي أضعفت كل البلاد الإسلامية ومزقت شملها وفرقت أهلها وجعلتهم فرقاً وشيعاً ساعدت على الانقسام والتشتت .

الباطنية :

- كانت من أكبر عوامل الهدم من الداخل فقد ضمت جميع العناصر المناهضة للإسلام ، من زرادشتية ومانوية ويهود ونصاري وكانت التناقضات فيها تبيض وتفرخ لأنها عاشت في الظلام وآمنت بالتقية بل وجعلتها أساس عقيدتها .

-الباطنية عاشت في وهم اعتقدت حرية الشهوات واللذات وعمدوا إلى صرف ألفاظ الشرع عن معانيها ومقاصدها وحملوها أمور باطنه .

-للباطنية الكثير من الخرافات والأساطير والخزعبلات التي صورها في الباطن وعملوا بها ودعوا إليها في عقيدتهم الباطنية الإسماعيلية .

- لجأت الباطنية إلى الفلسفة التي استمدوا منها أوهامهم فضمت فلاسفة ومفكرين مثل إخوان الصفاء وبعض الشعراء مثل أبي العلا المعري. وعلماء مثل أني حيان التوحيدي وابن سينا .

-تمكنت الباطنية من إفراز جناح عسكري في القرن الخامس الهجري بقيادة الحسن الصباح الذي اتخذ قلعة الموت سنة 483هـ مركزاً له ويبث من خلالها دعوته ليخدعوا البسطاء ويستعينوا في التأثير على الإتباع بالمخدر أو الحشيش ولذلك سموا بالحشاشين وقد بقيت هذه الفرقة تثير الفتن وتنشر الرعب .

-تعاونت الباطنية مع الصليبين في الشام ضد المسلمين واغتالوا عدداً من قادة الإسلام كما حاولوا اغتيال صلاح الدين إضافة أن الباطنية تبرأت من الصحابة رضوان الله عليهم ، شوه الباطنية صور شخصيات كثيرة من صدر الإسلام ودسوها في كتب التاريخ والأدب .

- وقفت الباطنية إلى جانب الصليبين في حربهم ضد الإسلام والمسلمين وخاصة في دمشق عام 523هـ وإلى جانب المغول كما حدث في تخريب بغداد عام 656هـ .

-القرامطة من الباطنية فتاريخهم معروف في محاولتهم القضاء على الإسلام والمسلمين وهجومهم على بيت الله الحرام واستحلال دماء المسلمين ونزع الحجر الأسود .

-بقيت الباطنية فرقة تنخر في جسم الأمة الإسلامية تثير الفتن وتعمل على تشكيك المسلمين في دينهم بابتداع كل المسائل الهدامة التي ليست لها علاقة بقيم الإسلام وكلها تحت مظلة الباطن .

-تمكن أعداء الإسلام من حملة التشويه المتعمدة التي لحقت برجالات القرن الأول الهجري نظراً لأنهم موضع الفخر والاعتزاز الشديد .

الصوفـية :

-نشأ التصوف من ينبوعين مختلفين تلاقيا هما الأول هو انصراف بعض العباد المسلمين إلى الزهد في الدنيا والانقطاع للعبادة وقد نهي النبي ﷺ عن ذلك فقال : " ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا لكني أصوم وأفطر وأصلي وأنام وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني "

-الثاني ما سري إلى المسلمين من فكرتين : الأولي فكرة الاشراقيين من الفلاسفة وهم يرون أن المعرفة تقذف النفس بالرياضة الروحية والتهذيب النفسي والثانية : فكرة الحلول الإلهي في النفوس الإنسانية وقد ابتدأت هذه الفكرة تدخل في الطوائف التي كانت تنتمي كذباً إلى الإسلام في الصدر الأول عندما اختلط المسلمون بالنصارى وظهرت في السبئية والكيسانية والقرامطة والباطنية .

- ظهر التصوف في الإسلام واشتد في القرن الرابع والخامس الهجري ثم بلغ أقصي مداه بعيداً عن هدي القرآن الكريم والسنة المطهرة حتي بلغ أن المتصوفة يسمون من يتبع القرآن والسنة –أهل الشريعة – وأهل الظاهر- ويسمون أنفسهم أهل الحقيقة وأهل الباطن فالتقت الصوفية مع الفلسفة والباطنية وحجبت كثيراً من المخدوعين عن فهم حقيقة العبادة وعمدت على تقديس المشايخ وأنتجت التواكل بدلاً من التوكل الذي أفسد كثيراً من العقيدة .

-الصوفية انتشرت في المجتمع الإسلامي زمن العباسيين ولكنها كانت ركناً منعزلاً عن المجتمع وفي عهد الدولة العباسية صارت هي المجتمع وأصبحت بالنسبة للعامة هي المدخل إلى الدين ومجال ممارسته فتسلطت مجموعة من الخرافات والأوهام التي تتعلق بالمشايخ الأحياء منهم والاموت وصار التدين هو الإيمان .

-تعلقت الصوفية بالمشايخ وصار التدين هو الإيمان بالشيخ وكراماته وبأحواله وقدرته على اشتفاف الغيب ، وعلى شفاء المرضي من غير دواء وقدرته على فك طلاسم السحر واستخراج الشياطين من أجساد من تسلطت عليهم كما أصبح التصوف يتعلق بالأضرحة والأولياء ونذر النذور لهم والتقرب بالقرابين دون عمل حقيقي بمقتضي الدين وقد أصبح هذا في حس العامة هو الدين .

-أدرك أئمة المسلمين وعلماؤهم أهداف الفلاسفة والباطنية والصوفية فكانت لهم جهودهم الموفقة في تفنيد دعواهم ورد كيدهم وإبراز الحق واضحاً عليهم من خلال مصادره الأصلية كتاب الله تعالي وسنة رسوله المطهرة ومن ابرز العلماء الأئمة الأربعة ثم الإمام ابن تيميه وابن القيم اللذان كانت لهم صولات مع أرباب البدع وأئمة الكلام وأساطين الفلسفة فأوسعوا نظرياتهم وأقوالهم نقصاً ونقداً .

7-الإسرائيليات :

-هي جميع العقائد غير الإسلامية ولا سيما التي دسها أهل الكتاب من اليهود والنصارى بواسطة من تظاهر منهم بالإسلام ، فتمكنوا من دس تفاصيل كثيرة باطلة وتوسعات عديدة تتعارض من الإسلام القائم أصلا على التوحيد .

-المتصل اتصالاً واضحاً بالإيمان بالغيب والبعث والجزاء والمستمد من قواعد القرآن الكريم ومنهجه ومنطقه في مواجهة مختلف القضايا والأمور الخاصة فيما بتعلق بعالم الغيب وما وراء المحسوس وعلى عصمة الأنبياء والرسل .

-تكونت مدارس التفسير في زمن الصحابة والتابعين وتداولت تلك المدارس مجموعة من التفسير بالمأثور المنسوب بعضه إلى النبيﷺ والمنسوب كثير من إلى الصحابة .

-وأكثره منسوب إلى التابعين كمجاهد وقتادة ومسروق والحسن البصري وعكرمة مولي ابن عباس وغيرهم وهم كثيراً ما اختلط بتفسيرهم من الإسرائيليات ، وادخل أعداء الإسلام عبر هذا الباب الكثير من الأوهام المضللة التي شكلت انحرافاً للعقيدة الإسلامية الحقة .

- توسع التابعون في الأخذ عن أهل الكتاب فكثرت الروايات الإسرائيلية في التفسير لكثرة من دخل من أهل الكتاب في الإسلام وميل نفوس الناس إلى سماع التفاصيل .

- جاء من بعد هؤلاء التابعين من عظم شغفه بالإسرائيليات وأفرط في الأخذ منها إلى درجة جعلتهم لا يريدون قولاً ولا يحجمون أن يلصقوا بالقرآن الكريم كل ما يروي لهم وإن كان بعيداً عن النص كالروايات في اسم الشجرة التي أكل منها آدم وأسماء أهل الكهف واسم كلبهم وغيرها من الخرافات والأساطير .

-نجح أهل الكتاب في دس الإسرائيليات وأبرز ما فيها مادة الكهانة والتنبؤات التي كان لها أثر سيء في عصور الضعف على المسلمين وفي فترة الركود والتخلف وشملت تفسيرات أهل الكتاب للآيات القرآنية والتوسع في أوصاف الملائكة والجنة والنار والحشر وتصوير ذلك تصويراً يخرج بها عن أصلها القرآني .

- ذهب الكثير من الباحثين إلى أن أكثر الأحاديث الموضوعة عن الإسرائيليات إنما وضعت بتدبير وتخطيط خصومه وكيد وأنها من عوامل الحرب الفكرية والعقائدية الضاربة التي شنها اليهود وغلاة النحل المبتدعة على الإسلام والمسلمين بكافة الوسائل .

- تنبه علماء المسلمين إلي مقاصدهم وإلى هذا الخطر منذ وقت مبكر فقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يحذر من الأخذ عن أهل الكتاب وكتابكم القرآن الكريم وضح لكم ذلك .

- وأثر عن الإمام ابن حنبل قوله " ثلاثة لا أصل لهم :" التفسير والملاحم والمغازي " أي أنها ليست ذات أسانيد صحيحة متصلة .

8-التعصب المذهبي :

- شاعت منذ القرن الرابع الهجري بدعة التعصب المذهبي فأنتج ذلك مخالفة الكثير من النصوص الصحيحة وتقديم الرأي عليها ونشر الفتن والخلاف بين المسلمين والتحايل على الذين والجمود على التقليد وإغلاق باب الاجتهاد والاشتغال بالافتراضات الخيالية ، الأمر الذي أدي إلى شيوع الجهل على المدى الطويل .

- منع الاجتهاد بعد القرن الرابع الهجري ثم ساد اختيار كتب الفقه المتأخرة الخالية من الأدلة الشرعية فقلت دراسة الكتاب والسنة والرجوع إليها عند الخلاف فانحرف الناس عن السنة .

-ووصل الأمر أن أبا الحسن عبيد الله بن الحسن الكوفي رئيس الحنفية بالعراق في القرن الرابع الهجري الذي صنف المختصر وشرح الجامعين الصغير والكبير لمحمد بن الحسن قال : " كل آية تخالف ما عليه أصحابنا فهي مؤولة أو منسوخة وكل حديث فهو مؤول أو منسوخ . فقدم أهل المذهب على أهل الكتاب والسنة فما الفرق بين قوله وأقوال الصوفية والباطنية والفلاسفة ؟

- وصل الخلاف بينهم والخصام بين مقلدة المذاهب درجة خطيرة فعادي بعضهم بعضا وصار يسعي بعضهم بالكيد والأذى للبعض الآخر فتسبب ذلك في الكثير من الفتن والقتال فيما بينهم .

- حاول بعض العلماء أن يقفوا في وجه التيار المتعصب فكان نجاحهم ضئيلاً بسبب تعميق فكرهم وسط ضعاف الإيمان الذين زينوا أعمالهم وعملوا على نشرها في أوساط طبقاتهم .

- قال العالم منذر بن سعيد البلوطي خطيب الخليفة عند الرحمن الناصر بالأندلس يشكو حال المذهبيين ومواقفهم من الكتاب والسنة :

عذيري من قوم يقولون كلما طلبت دليلاً هكذا قال مالك

فإن عدت قالوا هكذا قال أشهب وقد كان لايخفي عليه السالك

فإن زدت قالوا سحنون قبله ومن لم يقل ما قاله فهو آفك

فإن قلت قال الله ضجوا وأكثروا وقالوا جميعاً أنت قرن مماحك

وإن قلت قال الرسول فقولهم ائت مالكاً في ترك المسالك

- أدت هذه التحديات الداخلية وما رافقها من تحديات أخري وتحديات خارجية إلى شدة الضغط على العالم الإسلامي وقادت إلى الضعف والتفكك والانحلال وتردي المسلمون إلى حاله من العجز والتدهور .

- العجز الذي أصاب الأمة الإسلامية بسبب كل هذه الأسباب عجزت به الأمة في مجال الاختراع والإبداع بل ساهم في الجمود والتقليد والتواكل والانحراف عن النهج القويم والابتعاد عن الشريعة وشاب إيمان المسلمين الكثير من الكدر فانهارت قواهم ووقع العالم الإسلامي لقمة سائغة في يد الاستعمار الأوربي الحديث وخر صريعاً أمام الهجمات الشرسة التي قادتها الصليبية الحديثة بمشاركة الصهيونية والشيوعية وكل ذلك عمل على تأخير أمة الإسلام .

- هذه الأسباب الداخلية تأتي في جملتها داخل إطار هدم الإسلام وتقويض نفوذه من قبل الأعداء الذين يتربصون بنا الدوائر ولكن علينا بوحدة الصف وجمع الشمل تحت راية الإسلام الخفاقة الفتيه وان شاء الله عائدون لمجدنا التليد الذي لا خيار غيره لإصلاح حال الأمة